30/05/2024

كلمة البطريرك يوحنا العاشر في اليوبيل الفضي لكورال الراعي الصالح، اللاذقية، 29 أيار 2024



المسيح قام. حقاً قام.

تعجز الكلمة أن تفي اللحن حقه وتفلس الكلمات أمام النغم. فكيف إذا كانت اللحن سبحاناً والنغم بشارة إنجيل؟ ليس هذا فحسب. ال بل كيف إذا كان هذا النغم مترديا كلام الرب ومتوسلاً كلمة الحياة ومقترناً بها؟ عندها بال شك يقف كلامي عاجزاً وتقف مفرداتي حائرة. والحال أصعب وأصعب عندما تكون المناسبة اليوبيل الفضي لكورال الراعي الصالح. عندها يمسي الصمت أفصح من الكلام وتصبح أفضل مناجاة لأنها لغة الروح والروح لها لغة الموسيقى التي تهبط السكينة على النفس القلقة مرتبة الروح وترفع تلك الأخيرة إلى علياء وبلسماً يقرّ عيناً مضارب أبي الأنوار.

قبل خمسة وعشرين عاماً انطلقت مسيرة هذا الكورال. انطلقت مسيرته سبحاناً ونشيداً يدخل القلوب. وغير غريب على كنيسة أنطاكية كل هذا. فهي كنيسة الترانيم الكنسي وكنيسة الموسيقيين والشعراء وبوتقة النغم الظاهي والقروي الفني. فهي كنيسة رومانوس المرنم الذي من حمص وكنيسة الدمشقي

يوحنا أبي الألحان. وهو رائد التسابيح الكنسية. وهي كنيسة مار أفرام الشهير بأشعاره التي حارب بها سائر البدع. وإذا ما انتقلنا إلى عصرنا الحديث، نجد هذه الكنيسة متهاديةً تناجي ربها بأعمال وأناشيد أثناسيوس عطا الله مطران حمص. نجدها مرنمةً ومصليةً تستسيغ نظم تقاريظ الجنان للشاعر المطران أبيفانيوس زائد والتي طُبعت هنا في اللاذقية للمرة السابعة سنة 1947. نجدها ساجدةً بصوت مترنم بأحانه التي تنتقل من شواهق المجد إلى قرارات التوبة والانسحاق. نجدها متهللة بروائع أندراوس معيقل ونتحسسها في رنة جرس صوت كوتيا. وعدا عن ذلك، نجدها في فن الرحابنة وفي حلوة صوت فيروز السجاد أمام الصليب. نجدها في عبقرية باسطة فيليمون وهبة وفي غيرهم الكثير الكثير. واسمحوا لي أن أكتفي بهؤلاء لئلا أغفل فأظلم.

إذا كانت الأيقونة إنجيل العين فإن الموسيقى هي إنجيل الروح. وما قدمه هذا الكورال كان بالفعل إنجيلَ روحٍ للصغير وللكبير. لقد دخلت ألحانه وأعماله روح الصغير والكبير. دخلت موسيقاه الروح وحركت أوتارها بحلاوة الإنجيل. دخلت بباسطة اللحن فأسكنت المسيح في خدر النفس. ولأن المنارة تضيء للجميع لا لمحيطها فقط، أنارت شعلةُ هذه المنارة، كورال الراعي الصالح، اللاذقية فقط لا الكرسي الأنطاكي كله بكل أبرشياته لا بل والكنائس الأخرى. اخترتم له "اسم الراعي الصالح". والراعي الصالح، ولو تأملنا قليلاً، يستخدم لغة الموسيقى والنغم مع خرافه. فالخراف لا تعرف لغة الراعي لكنها تميز صوته ونبرة صوته وموسيقى روحه. تتحسس محبته وكينونته بنغمة روحه وبصمة صوته فتعرف أنه يناديها إلى محبته ويدعوها ليضمها إلى بوتقة روحه ويمسحها ببلسم عنايته.

بوركت جهودكم وبورك عملكم. وبوركت تلك النفوس التي تعبت ليخرج هذا الكورال من الفكرة إلى التطبيق. نحيي كل فردٍ فيكم ونشكركم باسم كنيسة أنطاكية ونسر دائماً بسماع جديدكم ونفتخر بمسيرتكم التي تكلل هذه الأبرشية بعبق جمال المسيح وتلفح اللاذقية كلها بشذا الموسيقى المبلسم الروحَ.

كل عام وأنتم بخير. ودامت أنغامكم وأناشيدكم عابقةً بعرفِ حلاوةٍ من رنمت له الملائكة في ميلاده

"المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة"

[بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس Antioch Patriarchate]